قصص ارشادية

سر الحمام

كتبها لكم

جمال شاهين

المكتبة الخاصة

سر الحمام

النشر الاول ١٩٩٤

النشر الاخير ٢٠١٨



سر الحمام



دخل الليل والأم تنتظر ولدها " حسونة " ، حسونه خرج ليلعب مع أترابه منذ العصر ؛ ولكنه تأخر ، فصارت الأم تتحرك بين باب البيت الخارجي وبين غرف البيت من الداخل ، وأعصابها مشدودة متوترة وكلها قلق وخوف ، وهذان يزدادان مع كل خطوة تخطوها وزمن يمضي ، فالزوج قادم ، فماذا ستقول له عن غياب ابنه البكر الصغير حسونه ؟! وأطفالها الآخرون يتابعون حركاتها حركات الأم القلقة المتوترة ، وهم صامتون يهابون الاستفسار ، فكلهم غارق في أفكاره الصغيرة ، والسؤال يتردد في أذهانهم وخيالهم " لماذا تأخر حسونة في اللعب خارج البيت ؟! " فكانت الوساوس تشرق بهم وتغرب ، فهذه أول مرة يتأخر ويهبط الظلام ، ولم يكن الفتى في البيت .. هل حصل له شيء ؟! هل تعرض لخطر وضرر ؟

وبينما الأم واقفة على باب الدار تراقب الأشباح في ذلك الظلام الدامس ، ظهر الصغير حسونة أمامها مسرعا فقال وهو يلهث من الركض : لقد

تأخرت يا أمي .. لا تؤاخذيني .. هل جاء أبي ؟!

قبضت بيده ودخلت مسرعة ، فلم تستطع أن تـرد عليـه حتـى سـكنت أعصـابها المتوترة ، وقد لحظت أنه يحمل كيسا فيه شيء يتحرك ويهتز ، فقالت : مـا هذا الكيس الذي تحمله ؟ وما فيه أيها الولد ؟!

فقال همسا : زوج من الحمام يا أمي .. لي واحدة ولصاحبي وليد الأخرى ، سأخبئهما على سطح المنزل حتى الغد .. لم يعد أبي أليس كذلك ؟

جرى هذا الحوار وهما يمشيان بفناء الدار ، ثم ردت الأم على سؤال ولدها قائلة : لم يرجع أبوك بعد .. لقد خفت عليك كثيرا .. أنت تعلم أن أباك يغضب جدا إن دخل البيت ولم يجدك بين اخوتك ..أسرع بوضع حمامتيك على السطح ، ثم نظف نفسك قبل مجيء أبيك .

فرد حسونة : يا أمي لا تخافي عليّ ، قد كبرت وأصبح عمري عشر سنوات .



وصعد حسونة إلى سطح البيت مسرعا ،وفي قن مهجور للدجاج خبأ الحمامتين ، وأغلق باب القن ونزل للبيت عجلا ، فغسل يديه ووجهه وأكل وشرب ولبس ملابس النوم فنام .

وفي الليلة التالية تأخر حسونة مرة أخرى ، وجاء الظلام وجرى للأسرة ما جرى ليلة أمس ، ولما أتى الفتى كان يحمل كيسا فيه زوجا من الحمام ،

فقالت الأم : ما الذي أخرك الليلة ؟ أين وعدك لي ؟

فقال وهو يبتسم : يا أمي .. صيد الحمام يحتاج للظلام .. لا تخافي عليّ ، ولا تقلقي ، فقد كبرت وعندي عشرة أعوام .

وصعد إلى بيت الدجاج المهجور ، ووضع فيه الحمامتين ، ونزل وغسّل ، وأكل ونام .

وفي الليلة الثالثة تأخر حسونة في المجيء للبيت ؛ ولكن حضر والده قبله فسأل عنه ، فقالت الأم باضطراب : خرج يلعب مع الصبية وللآن لم يعد ، لعله يأتي الآن .

فقال الأب عاتبا : ولماذا يتأخر الصبي في اللعب إلى العتمة يا أم حسونة ؟ .. هذا خطأ كبير يا عزيزتي ، قبل الليل على الأولاد أن يكونوا في البيت .. أين نبحث عنه الآن ؟؟ ولم أر أحدا في شارع الحي .. فالناس عند هبوط الظلام يأوون لمساكنهم ، والشياطين يا بنت الكرام كما تعلمين تنتشر عند هبوط الليل ، وحذرنا النبي الكريم ﷺ من خطرهم وخصوصا على الأولاد الصغار .

وبينما هما يتحاوران طرق باب البيت ففتحه الأب بنفسه ، وكان حسونة

يقول بصوت عال : لماذا أنت مقفلة الباب يا أمي ؟![1]

ولما دخل شاهد والده فلزم الصمت ، فقال له أبوه : أين كنت ؟! ولماذا تأخرت في اللعب ؟ بل ما هذا الكيس الذي بين يديك وما فيه ؟

تلعثم حسونة في الإجابة على كل هذه الاستفهامات ؛ واعترف فقال : هذا زوج حمام يا أبي لصاحبي وليد ابن أبي أحمد الخياط .. طلب مني أن أحفظه له حتى الصباح .. لقد تأخرت عنده .

فقال الأب : ولماذا تحفظه أنت عندك ؟



فقال حسونة بخوف : لا أدري ، طلب مني ذلك وخجلت أن اكسفه .

قال الأب : ومن وليد هذا ؟

[1] – عن جابر بن عبد الله قَالَ ﷺ «وَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ ، فَإِنَّ لِلْجِن (فَإِنَّ لِلشَّيَاطِينِ) انْتِشَارًا وَخَطْفَةً ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ » خ

فأجاب الطفل : وليد هو صديقي في المدرسة وفي الصف .. أنا آسف على التأخير .. لن أكرر ذلك يا أبي .. سامحني يا أبي .

قال الوالد : لا بأس .. احفظها ببيت الدجاج المهجور .. ولا تكرر مثل هذا العمل .. وأرجوك لا تحاول أن تتأخر ثانية يا بني .

فأخذ حسونة نفسا عميقا وانطلق إلى قن الدجاج ، ودخل الأب البيت ، وحدث زوجته بما سمع من حسونة ، ولزمت الأم الصمت ولم تعلق بشيء ؛ ولكن الفتاة الصغيرة " هدى " قالت : أبي .. فإن حسونة يحضر كل ليلة زوجا من الحمام .. فقد أصبح لدينا مع حمامات اليوم ستة حمامات .

التفت الأب إلى زوجته مستغربا وقال : ما القصة يا أم حسونة ؟!

فقالت الأم : لا أدري كل مساء يأتي ومعه زوج حمام ، ويدعي أن واحدة له والأخرى للمدعو وليد .

فغضب الأب وقال : لم يخبرني بذلك .. أمر هذا الحمام غريب ! ولابد أن يكون وراءه قصة .

وأسرع الأب مسرعا إلى حيث القن ، فوجد الفتى يغلقه فقال : دعه يا ولد .. كم حمامة هنا ؟

لم يتكلم حسونة ، فاقترب الأب وفتح باب القن ، وأنار المصباح وأحصى

الطيور ، فتأكد من صدق كلام هدى ، ونظر إلى حسونة المضطرب ، وقال وفي صوته نبرة حادة : ما قصة هذا الحمام يا سيد حسونة ؟!

فرد الفتى بخوف وتلعثم وارتباك: هو .. هو .. لصديقي وليد ابن الخياط أبي أحمد

فقال الأب بحدة ونبرة تهديد : علمت وفهمت أنه لوليد .. ومن أين أتى به وليد هذا ؟!

فرد حسونة : من عندهم .

فقال الأب وهو يغلق القن ويمسك حسونه من إحدى يديه : خذني لبيت وليد هذا لنفهم منه قصة الحمام .. ولماذا يعطيك إياه وليد هذا ؟! .. أنا لا أفهم ذلك ؟

أجاب حسونة المرتبك : طلب مني أن أخبئه له حتى يبيعه في سوق الطيور .

قال الأب وهو يدقق النظر في هيئة ابنه : يا ولدي .. الكذب رائحته في كلامك ، ما الحقيقة ؟

ونزل الأب السلم وهو ما زال ممسكا بيد حسونة ، فلما صارا في صحن البيت صاح الأب : يا أم حسونة .. نحن ذاهبان لبيت أبي أحمد الخياط لنعرف القصة .. قصة حمام حسونة .

عندئذ قال حسونة لما رأى إصرار أبيه على معرفة حكاية الحمام : أبي .. سأقول لك قصة الحمام .. بس لا تزعل مني ولا تضربني .

قال الأب وهو يكظم غيظه ويخفف من حدة غضبه : الآن أحسنت ! .. تعال لنجلس داخل البيت.

ولما جلسا وحدهما قال الأب : أسمعني قصة هذا الحمام ؟

وأصغى الأب لولده مستمعا لقصة طيور الحمام ، فقال حسونة : أعدك يا أبي بالتوبة والندم .. ولن أكرر خطئي .

تبسم الوالد وقال : الحمد لله أنك تدرك أنك فعلت خطأ .. فلنستمع لهذا الخطأ .

قال حسونة معترفا بسر الحمام : وليد صاحبي هو الذي شجعني وأغراني على اختلاس الحمام من منزل أبي خليل .. أبو خليل عنده حمام كثير .. فعندما يدخل الليل نتسلق على جدار منزل أبي خليل .. ثم نمشي عليه خطوة خطوة حتى نصل سطح بيته بيت أبي خليل .. وهناك أقفاص الحمام ، فيأخذ كل منا حمامتين ، ونعود بها لبيوتنا على أمل بيعهم في سوق الطيور الكبير .. فهذه يا أبي قصة الحمام .. ضحك عليّ وليد فجاريته .

فقال الأب بعد صمت عميق وبهدوء تام : أيها الولد ! أسأت لنفسك

ولأهلك ولجارنا ، وأمك أخطأت بعدم الضغط عليك لمعرفة سر هذه الحمامات ، ويا ليتها روت لي ذلك من البداية .. وبما أنك تعترف بهذا الفعل الشنيع .. سأتجاوز عنك هذه المرة ، وأرجو أن لا يتكرر منك هذا التصرف الفاحش ، فأنت تعرف غضبي .. هات الحمامات لنذهب إلى بيت أبي أحمد .

استغرب الجار أبو أحمد لهذه الزيارة الليلية ، ولما استمع الحكاية زال استغرابه ، وأقر وليد بعمله السيئ ،وغضب أبو أحمد الخياط من ولده وأراد أن يضربه ، فتشفع فيه والد حسونة قائلا : اعفو عنه هذه المرة من أجلي يا أبا أحمد ! ولابد يا جاري العزيز من الذهاب لأبي خليل الساعة ، ونعيد له حماماته جميعها ، ونعتذر إليه ، ونطلب منه أن يسامح الصبيين وليدا وحسونة .


قصص
ارشادية